التفسير الوجيز

على هامش

القرآن العظيم

ومعه أسباب النزول وقواعد الترتيل

الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي

دار الفكر
دمشق - سورية

وهبة الزحيلي
التفسير الوجيز
دار الفكر
دمشق - سورية

أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ
جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ
كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ
رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ
قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ
عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ
شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ
أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ
ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ
نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن
نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ
فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ
يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟
رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا
وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾

١٤٢ - أظننتم أن تدخلوا الجنة من غير جهاد وصبر؟! ولما يتبيَّن في حياتكم الذين جاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم وألسنتهم، ويعلم الصابرين الذين يثبتون في القتال.

١٤٣ - ولقد كنتم أيها المؤمنون تتمنون الشهادة في سبيل الله قبل موقعة أحد، من قبل مشاهدة القتال وأهواله، فقد رأيتم أسباب الموت قريباً منكم، وأنتم تتأملون الحال كيف هي، فلِمَ انهزمتم؟! عن ابن عباس: **أن رجالاً من الصحابة كانوا يقولون: ليتنا نُقتل كما قُتل أصحاب بدر، فأشهدهم الله أحداً، فلم يلبثوا إلا من شاء منهم، فأنزل الله الآية.**

١٤٤ - وما محمد إلا رسول كسائر الرسل من البشر، قد مضت من قبله الرسل وماتوا عند انتهاء آجالهم، أفإن مات أو قتل كغيره من الناس، رجعتم كفاراً بعد إيمانكم؟! ومن يرتدد منكم عن دينه، فلن يضرّ الله شيئاً، وإنما يضرّ نفسه، وسيجزي الله الشاكرين جزاء حسناً لثباتهم على دينهم، **نزلت لما هزم المسلمون في أحد، وأشيع أن النبي ﷺ قُتل، فقال قائل: قد أصيب محمد فأعطوا بأيديكم، فإنما هم إخوانكم، ورأى عمر الناس يتراجعون، فنزلت هذه الآية: ﴿وما محمد إلا رسول﴾.**

١٤٥ - ليس لنفس أن تموت إلا بقضاء الله وقدره، وكتب الله الموت على كل نفس كتاباً ذا أجل محدود، ومن يرد بعمله ثواب الدنيا كالغنيمة ونحوها، نعطه من ثوابها المقدر له، ومن يرد بعمله ثواب الآخرة، وهو الجنة، نعطه من ثوابها ونضاعف حسناته، وسنجزي جزاء وافراً الشاكرين، أي الثابتين على دينهم، المطيعين أوامر ربهم كالقتال والصبر.

١٤٦ - وكثير من الأنبياء قاتلوا أعداء الله، وقاتل معهم العلماء والعبّاد الربانيون المنسوبون إلى الرب، لشدة تمسكهم بطاعة الله، فما جَبُنوا عن القتال لما أصابهم من القتل والجراح في سبيل إعلاء كلمة الله، أو لقتل قائدهم، وما ضعُفوا عن ملاقاة عدوهم، وما خضعوا وذلوا له، بل ثبتوا وصبروا، والله يثيِّب الصابرين في الجهاد وغيره. والفرق بين الألفاظ الثلاثة: أن الوهن في القلب، والضعف في الجسد، والاستكانة: الاستسلام للعدو.

١٤٧ - وما كان قول أولئك الربانيين الذين كانوا مع الأنبياء عند لقاء عدوهم، إلا أن قالوا: ربنا اغفر لنا ذنوبنا الصغائر، وخطايانا الكبائر التي تجاوزنا بها حدودك، ورسّخ أقدامنا في القتال بتقوية قلوبنا على الجهاد حتى لا نفرّ أو ننهزم، وانصرنا على الكافرين، نصراً مؤزراً ينتصر به دينك.